المحاضرة التاسعة: مناهج علم الاجتماع الإعلامي

أولا: البحث في علم الاجتماع الإعلام والاتصال:

يرتبط منهج البحث في مجال علم الاجتماع الإعلامي والطرائق المستخدمة فيه بذات الطرق المستخدمة في العلوم الاجتماعية الأخرى والتي يأتي في مقدمتها علم الاجتماع والنفس و النفس الاجتماعي و الأنثربولوجيا مع اختلاف نسبي في أشكال التطبيق، كما أن منهجية البحث لا تختلف في مضمونها عن منهجية البحث العلمي في المجالات العلمية المختلفة ذات الطابع الاستقرائي، مما يعطيها صفة التعلم على الرغم من الشكوك الكثيرة التي تثار حول هذا الاستخدام في العلوم الاجتماعية قاطبة ولهذا لا بد من توضيح الأسس المنطقية لمنهجية البحث العلمي المستخدمة في علم الاجتماع الإعلامي ومن ثم يتم التعريف بطرائق البحث الأساسية التي تفيد الباحث في تحليله للأبعاد الاجتماعية المرتبطة بعملية الاتصال.

ويعتمد علم اجتماع الإعلام المنهجية العلمية المتعارف عليها في علم الاجتماع العام والعلوم الاجتماعية الأخرى والتي تقوم بشكل أسلسي على مبدأ الاستقراء الذي يقابله في الفكر الفلسفي مبدأ الاستدلال، وهو ما يعرف بالمنطق الأرسطي أيضا، الذي ينطلق من مقولات عامة مسلم بها على مستوى الفكر لينتهي بتقصير ما هو جزئي بالرجوع إلى تلك المقولات أما مبدأ الاستقراء. وهو المعتمد في الدراسات العلمية المعاصرة فيقوم على تتبع حركة الأجزاء لينتهي إلى تفسير الكل الذي يضمها جميعاً.

وينطبق الأمر تمام الانطباق على مواضيع علم الاجتماع الإعلامي، فهل يمكن استخلاص أن القواعد التي تحكم آنية تلقي الفرد للخبر وتأثره وتفاعله معه، يمكن تعميمها على الفرد نفسه في أوقات أخرى مختلفة وهل يمكن تعميم هذه القواعد على الأفراد الآخرين في سياقات زمنية ومكانية مختلقة

ويلاحظ أن الدراسات النفسية والاجتماعية بصورة عامة لم تتمكن من صياغة قوانين قادرة على تفسير السلوك الإنساني، بما في ذلك أشكال تلقي المعلومات والأخبار وكيفية التفاعل معها في شروط اجتماعية ونفسية محددة يمكن تعميمها في سياقات اجتماعية ونفسية مختلفة ذلك أن اختلاف السياق الاجتماعي لعملية التلقي والتفاعل مع الخبر من حيث الزمان والمكان يجعل ما تم استخلاصه في سياق زماني ومكاني محدد غير قابل للاستخدام بالضرورة في شروط اجتماعية ونفسية أخرى، وبالتالي يصعب القول أن هذه العلوم تمكنت من الوصول إلى قوانين بالمعنى العلمي المتعارف عليه في فلسفة العلوم.

ويدفع هذا القصور عددا كبيرا من الباحثين إلى مزيد من الجهد لاكتشاف القوانين الضابطة لعمليات التلقي والتأثير والتفاعل على مستوى الفرد الواحد وعلى مستوى الجماعة، غير أن هذه الجهود مشروطة بأن تتخذ لنفسها مسارا علميا بالمعنى الحديث وهو الانتقال بالفكر الإنساني من الجزئيات إلى العموميات. واستخلاص ما هو عام ومشترك من خلال ملاحظة ما هو خاص وإلا فإن الفكر الإنساني يستحيل إلى

شكل من أشكال السحر أو التفكير الغيبي، أو أنه يصبح نمطا من أنماط الاستدلال الذي يعتمد مبدأ الكل مقدمة أساسية له، ومن ثم يأخذ بتفسير الأجزاء والظواهر من خلال الأحكام العلمية التي كررها الفكر أو العقل من قبل وهي أشكال من التفكير الاستدلالي.

وبتناول **علم الاجتماع الإعلامي** مشكلاته بالتحليل والتفسير من خلال طرق علمية متعددة في البحث. تختلف باختلاف الموضوعات التي يتناولها والمجالات التي يهتم بها وتتميز هذه الطرق عن بعضها بعضا بجملة من السمات والخصائص التي تجعلها الطرق مناسبة للأغراض المختلفة التي

يوجدها البحث من موضوعات كمية أو كيفية، ويميز الباحثون في هذا المجال بين طريقة دراسة الحالة وطريقة تحليل المضمون وطريقة المسح الاجتماعي وطريقة المقارنة والطريقة التجريبية، ويستخدم علم اجتماع الإعلام هذه الطرق بأشكال مختلفة تبعا لغاياته ولخصوصيات موضوع دراسته.

ثانيا: مناهج البحث في علم الاجتماع الإعلامي:

تتنوع طرائق البحث في علم الاجتماع الإعلامي بتنوع الموضوعات التي يعالجها خاصة وأن الرسالة الإعلامية التي تقدمها وسائل الاتصال تَأخذ أشكالا متعددة فمنها المقروء ومنها المسموع ومنها المرئي والانترنت، كما أن المواضيع المتعلقة بالجمهور المتلقي هي متنوعة أيضا ويمكن معالجتها بطرق مختلفة ولهذا يأخذ علم الاجتماع الإعلامي بطرائق عديدة في البحث يمكن الإشارة إلى أهمها في هذا الصدد:

1. **منهج البحوث الوصفية (المنهج الوصفي):**

يعد المنهج الوصفي أكثر المناهج البحث ملائمة للواقع الاجتماعي كسبيل لفهم الظواهر، ويأتي على مرحلتين، الأولى مرحلة الاستكشاف والصياغة (تضم البحوث الاستكشافية) التي تحتوي بدورها على ثلاث خطوات هي تلخيص ما تم جمعه من أدبيات تتعلق بالموضوع المدروس، الاستناد إلى ذوي الخبرة العلمية والعملية بموضوع الدراسة، ثم تحليل بعض الحالات التي تزيد من استبصارنا بالمشكلة، ثم المرحلة الثانية هي مرحلة التشخيص والوصف وذلك بتحليل البيانات والمعلومات التي تم جمعها تحليلا يؤدي إلى اكتشاف العلاقة بين المتغيرات وتقديم تفسير ملائم لها.

2. **منهج الدراسات المسحية.**

يعتبر البحث المسحي طريقة لتجميع البيانات الاجتماعية وتحليلها عبر المقابلات أو الاستبيانات المقننة من اجل الحصول على معلومات من أعداد كبيرة من المستجيبين عن طريق جماعة ممثلة لهم، وهناك نوعان أساسيان من المسوح أولهما المسح الوصفي وثانيهما المسح التحليلي، والبحوث المسحية هي دراسات لإيجاد الحقائق، ويتضمن هذا المنهج جمع البيانات مباشرة من مجتمع البحث أو عينة الدراسة ويتطلب خبرة والتخطيط والتحليل والتفسير للنتائج، ويمكن جمع المعلومات بالملاحظة، أو المقابلة، أو إرسال البيانات

عن طريق البريد الالكتروني وغيرها، كما أن تحليل البيانات يمكن أن يتم باستخدام قواعد إحصائية بسيطة أو معقدة ويعتمد ذلك على أهداف الدراسة.

ويشمل هذا المنهج خمس مسوح هي:

- ✓ مسوح الرأي العام
- ✓ مسوح جمهور وسائل الإعلام
- ✓ مسح وسائل الإعلام
- ✓ مسح أساليب الممارسة الإعلامية
- ✓ منهج بحوث دراسة الحالة

3. **منهج البحوث الإثنوغرافية:** ومن مميزات المنهج الإثنوغرافي:

- ✓ المرونة في طريقة التحليل، كما أنه بحث غير مقنن فلا يخضع لضبط سابق للمتغيرات، كما انه له القدرة على كشف الظواهر العفوية التي تظهر من خلال الممارسات والسلوكيات غير المقصودة خلال إجراء الدراسة.
- ✓ يتم في المواقف والسياق الطبيعي، ويهتم بدراسة السلوك الإنساني في سياقه الطبيعي.

4. **منهج بحوث تحليل المحتوى:**

في هذا الميدان يهتم بالمسح الكمي والنوعي للمواد المطبوعة، وتحليل المحتوى يهتم بدراسة:

- ✓ المحتوى الظاهر للرسالة الإعلامية :ما هو معلن عنه بشكل واضح في هذه الرسالة (من آراء، أفكار، معتقدات إيديولوجية...
- ✓ المحتوى الكامن أو المستتر للرسالة الإعلامية :وهو ما لم يتم التعبير عنه بشكل واضح في الوثيقة، ولهذا تتطلب هذه الدراسة الكشف عن ما هو خفي وغير معلن عنه مثل التوتر العاطفي، التغيرات اللاواعية ولاشعورية.

5. **منهج البحوث التجريبية:** من خلال سلسلة من الإجراءات تتمثل في:

- ✓ بناء تصميم تجريبي يتضمن الإجراءات التي سيستخدمها الباحث لا ثبات الفروض التي يضعها، وتشمل اختيار مجموعة الدراسة، وطريقة تصنيفها، وضبط العوامل المؤثرة غير العامل المستقل الذي يريد قياسه.
- ✓ الإجراء الفعلي للتجربة عن طريق إدخال المتغير المستقل أو التجريبي وملاحظة ما ينتج عنه من أثار

والمنهج التجريبي في الدراسات الإعلامية ودراسات الاتصال الجماهيري، تقوم في الاتصال الجماهيري بتجميع البيانات بطريقة مباشرة مفردات مجتمع البحث مثل منهج المسح، التجربة على عكس المسح تسعى لتجميع هذه البيانات تحت ظروف محكمة، و إذا ما طبقت التجربة بعناية فسيكون الباحث قادرا في معظم الأحيان على الاستجابة لمختلف جوانب العلاقات السببية.

6. منهج البحث التاريخي:

هو احد أهم المناهج العلمية في العلوم السوسيو- إعلامية ، حيث يبرز دور أحداث الماضي في قراءة الحاضر واستكشاف المستقبل، كما يتيح المقارنة بين الوقائع والأحداث والمؤسسات عبر الزمن، ويعتمد البحث التاريخي على دراسة الوثائق التاريخية والسجلات، فمنها يتم استخلاص الحجج وتجميعها لتكوين استنتاجات قد تدعم الحقائق المجهولة حتى ذلك الوقت، أو تقديم تعميمات فيما يتعلق بالأحداث الماضية والحاضرة .